تاريخ الارسال 2017/11/13 تاريخ النشر : جوان 2018

اثر غياب الاستقرار الأسري على صحة الطفل
مقاربة من منظور سوسيو- نفسي

ط/د. لفقير زوبير د. بن رمضان سامية
جامعة خنشلة

الملخص: تعد هذه الدراسة من الدراسات النظرية التي حاولت تسليط الضوء على ظاهرة غياب الاستقرار في الأُسَر، من خلال الكشف عن الاثار السلبية على صحة الطفل المترتبة عن غياب الاستقرار الاسري ، والسعي الى ابراز الدور المحوري الذي تلعبه الاسرة في الاستجابة لحاجات الطفل عبر مختلف مراحل نموه ، واهم المشاكل التي قد تواجهها ، بهدف التوصل الى نتائج علمية تنير الطريق امام الاسر وتحثهم على تنشئة الطفل تنشئة صحية سليمة ، تكسبه الشخصية المتوازنة التي تؤهله للاندماج في المجتمع وخوض غمار الحياة ، للوصول الى اعلى درجات الصحة و العافية.

وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يقوم على وصف الخصائص المختلفة وتحليلها عن طريق جمع المعلومات حول الموضوع المراد دراسته ثم استخلاص الدلالات و المعاني وإعطاء التحليل الملائم لكل ذلك. وقد تم التوصل الى مجموعة من النتائج كشفت عن اهم الاثار السلبية على صحة الطفل (الاجتماعية و النفسية و الجسمية و العقلية) الناتجة عن غياب الاستقرار الاسري .

الكلمات المفتاحية: الأسرة، الاستقرار الأسري، الطفل ، الصحة .

Résumé d'étude :

Cette étude est l'une des études théorique qui tentent de faire la lumière sur le phénomène du manque de stabilité dans les familles, à travers la détection des effets négatifs sur la santé des enfants résultant de l'absence de stabilité familiale, et cherchent à en évidence le rôle central qui joue la famille pour répondre aux besoins de l'enfant à travers les différentes étapes de son croissance , et les problèmes les plus importants rencontrés , afin d'atteindre un des résultats scientifiques éclairent la pour les familles , et les exhortant pour donner une éducation sociale pour l'enfant, qui peut lui permettre d'avoir une personnalité équilibré qui donnent droit à l'intégration dans la société , et s'engager au milieu vie attendre le plus haut degrés de santé et de bien-être.

Dans cette étude, nous avons utilisé une approche descriptive et analytique ,qui basé sur la description des caractéristique différentes et l'analyse par la collecte d'informations sur le sujet a étudier , puis extraire la significations sémantiques. et Donner une analyse correcte de tout cela , il a atteint un groupe de résultats a révélé les plus importants effets négatifs sur la santé des enfants(sociale ,mentale ,physique et psychologique) résultant de l'absence de stabilité familiale.

مقدمة :

الاسرة هي الجماعة الاولى التي تتلقّفُ الطفل بعدما يرى النّور ، فتخلق لديه الشعور بالولاء و الانتماء ، فهي اكثر الجماعات و حدة و تماسكا ، و هي من اكبر القوى التي تؤثر في الطفل ، من خلال اضطلاعها بوظيفة التنشئة الاجتماعية ، فهي ترمي الى تحويل الطفل من كائن بيولوجي الى كائن اجتماعي، لهذا اولت الدول والحكومات و المنظمات و الهيئات الدولية ،اهتماما بالغا بالأسرة و استقرارها ، وقد خُصّت الاسرة بكم هائل من الدراسات و الابحاث الاكاديمية لا سيما النفسية منها و الاجتماعية ، في ضل التغير الاجتماعي الحاصل في الاسرة لاسيما الاسرة الجزائرية التي عرفت تحولات عديدة على مستوى نظام الاسرة ،الذي يعتبر الاساس الذي يقوم عليه المجتمع الجزائري ، ومن بين اهم وظائف الاسرة هي الرعاية الصحية في مختلف المراحل العمرية للطفل ،هذه الاخيرة هي موضوع دراستنا ، فالأسرة تقوم برعاية صحة الطفل (النفسية ،

الاجتماعية ، العقلية و الجسدية) منذ ولادته الى ان يصل الى بر الامان ، من منطلق ما يربط افراد الاسرة الواحدة من قيم الحب و الالفة و الطمأنينة و التعاون في حل المشكلات و مواجهة الازمات التي تعصف باستقرارها و راحتها و صحتها ، و التي لا يحظى بها الكثير من الأُسر التي تعيش التعاسة و التفكك و عدم الاستقرار ، و التي تفقد فيها الاسرة مبررات وجودها. فيعاني افرادها الاثار المدمرة جراء غياب الاستقرار.

و قد اثبتت العديد من الدراسات ان الاطفال هم المتضرر الاكبر من هذا الاخير ، فالأبناء الذين يعيشون في أُسر يسودها الاستقرار الاسري هم اكثر تقبلا لذواتهم و اكثر تحررا من عوائق القلق ، و اكثر توافقا نفسيا من الابناء الذين يعيشون في اسر يغيب عنها الاستقرار، كما ان غياب الاستقرار الاسري يؤثر على صحة الطفل عامة (الاجتماعية ، العقلية ، النفسية و العقلية)، و هذا ما نحاول الكشف عليه من خلال هذه الدراسة .

أولا تحديد الاشكالية:

ان الحديث عن صحة الطفل غالبا ما يقودنا الى الحديث على الاسرة ، لأنها البيئة التأسيسية الاولى لكل فرد ، حيث ان العديد من الدراسات و الابحاث اثبتت ارتباط صحة الطفل بالبيئة الاسرية ارتباطا شديدا ، و الاستقرار الاسري شرط اساسي لتحقيقها ، وغيابه نتيجة للظروف الاسرية الغير ملائمة ، كالمشاحنات و الشجارات الدائمة بين افراد الاسرة او جراء انفصال الوالدين بسبب الطلاق او وفاة احدهما او مرضه ،و غير ذلك من الظروف ، يؤثر على صحة الطفل سلبا في مختلف ابعادها كالنفسية (ظهور حالات الاكتئاب ، و الكبت ، الانطواء ، الخجل المرضي ، ومظاهر العنف وغيرها من الاضطرابات النفسية)، الاجتماعية (عدم قدرة الطفل على التواصل و التأقلم مع محيطه الاسري او خارجه) ، العقلية (كعدم قدرة الطفل على القيام بالوظائف العقلية على احسن و جه ، كالذكاء و التحليل و التركيب و المقارنة و سرعة البداهة ، و غيرها) و الجسمية (كامراض الجهاز الهضمي ، و الجلدية ، و غيرها).

ومن خلال ما نراه اليوم بأن الاستقرار في العلاقات الأسرية أصبح له دور فعال وكبير في تكوين وتنمية الصحة الأسرية خاصة ما له علاقة بصحة الطفل، و من منطلق ان الثقافة الصحية أحد العناصر الرئيسية التي أصبحت تستقطب اهتمام الأسر بمختلف توجهاتهم وانتماءاتهم ، نجد أن مواضيع الثقافة الصحية أصبح لها حيز كبير في اهتمامات وانشغالات الأسر الجزائرية ومن هذا المنطلق قام الباحث باعداد هذا المقال ،الذي يؤكد على مسألة تُثار بصورة دائمة لها علاقة بقضية الاستقرار الأسري وآثاره على صحة الطفل في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها الأسرة وضمن المجتمعات خاصة الجزائر والتحديات التي تحدد مستقبلهم ، لذلك يتمحور التساؤل الرئيسي حول: ما هي آثار غياب الاستقرار الأسري على صحة الطفل من منظور نفس اجتماعي ؟ وما هي آليات التكفل بالصحة الأسرية وسبل تفعيلها في ظل التحديات المستقبلية؟ ويمكن الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال اربعة محاور :

اولها يتناول المفاهيم الأساسية : الأسرة ، الاستقرار الاسري ، الطفل والصحة ،ثم محور يتناول ماهية الاسرة (وظائفها، انماطها ،مكوناتها ومشكلاتها) ، و محور اخر يتحدث عن الطفل و الصحة ، ثم محور اخير يعالج مسالة اثر غياب الاستقرار الأسري على صحة الطفل (النفسية، الاجتماعية، العقلية و الجسمية).

أولا- المفاهيم الأساسية للدراسة:

1- مفهوم الاسرة :

التعريف اللغوي:

الأسرة مأخوذة من الأسر، وهو القوة و الشدة، ولذلك فإنها تفسر أنها الدرع الحصينة أي أن أعضاء الأسرة يشد بعضهم أزر البعض، ويعتبر كل منهم درعا للأخر1.

التعريف الاصطلاحي:

يرى(أوجست كونت ،Auguste Comte)أن الأسرة هي الخلية الأولى في جسم المجتمع، وهي النقطة التي يبدأ منها التطور، ويمكن مقارنتها في طبيعتها ومركزها بالخلية الحية في المركز البيولوجي (جسم الكائن الحي) 2.

ويعرفها ايضا (دافيد ايميل دوركا يم، David Émile Durkheim) بأنها " هيئة اجتماعية ذات طابع قانوني وأخلاقي ، ويلتزم افرادها بجملة من الواجبات ، و التي من بينها تحمل الآباء شؤون أبنائهم والتكفل بهم3.

اما (هيربرت سبنسر، Herbert Spencer) يري الأسرة بانها :"وحدة بيولوجية و اجتماعية تسيطر عليها الغريزة الواعية ،فهي امتداد للتجمعات الحيوانية ، التي تسير و فق الغرائز الدنيا "4، والشيء الذي اضافه سبنسر ان الاسرة موجودة في كل التجمعات الحيوانية و ليس فقط عند الانسان ، فهي ضرورة ملحة لكل الكائنات الحية بما فيها الانسان .

ويعرفها الباحث اجرائيا الاسرة هي الوحدة الاساسية و الطبيعية للمجتمع ، تنشا عن رابطة الزواج بين الرجل و المرأة وفق اطر تتفق مع عادات و تقاليد ومعتقدات المجتمع ، ينتج عن رابطة الزواج اولاد يعيشون في كنف العائلة تربطهم روابط الالفة و المودة والتعاون في جو من الاستقرار ، للوصول الى غاية مشتركة وهي استمرار النوع البشري .

2- مفهوم الاستقرار الأسري: الاستقرار هو مصطلح يستخدم للدلالة على الاستمرارية في القيام بسلوك معين مع الزمن ، و يعرف الاستقرار الاسري بانه محصلة التفاعل و التنسيق بين افراد الاسرة في اداء الادوار و المهام الروتينية5.

و عُرّف بانه تحقيق الأمن و الاطمئنان و السكينة و الثبات داخل الاسرة و بقاء العلاقة الزوجية و استمرارها، وهو يحمل معاني كثيرة مثل الترابط ، المشاركة والتنسيق بين جهود افراد الاسرة ، الاحساس بالاندماج و الانتماء ، التنسيق و التقسيم المشترك للأدوار، و نقصد به ايضا ذلك التكامل في الوظائف بين افراد الاسرة بالإضافة الى الجو الاسري الخالي من الاضطرابات النفسية و المشاكل ، الذي يساعد على الاحساس بالسعادة و الصحة والتواصل الاجتماعي و التماسك6.

ومن خلال ما تم عرضه من مفاهيم ، يمكننا صياغة تعريف اجرائي للاستقرار الاسري وتكييفه مع هدف الدراسة ،فقد ركزت التعاريف السالفة الذكر على بعدين ، لصحة الفرد، البعد النفسي المتمثل في الاضطراب النفسي الذي يسببه عدم الاستقرار الاسري، و البعد الاجتماعي المتمثل في احساس الفرد بالسعادة و التواصل الاجتماعي و التماسك ،و لم يُشر الى الجانب العقلي و الجانب العضوي (الجسمي) ، اللذان يعتبران بعدين مهمين من ابعاد صحة الفرد وبالتالي فان تعريفنا للاستقرار الاسري وفق بحثنا هو كما يلي :

هو تلك العلاقة الاسرية الناجحة التي تقوم على اسس ، التفاعل و التنسيق بين افراد الاسرة في الادوار و الوظائف ، من خلال قيم المحبة و الديمقراطية و التعاون و الاحساس بالاندماج و الانتماء للأسرة ، و الجو الاسري الصحي الخالي من الاضطرابات النفسية و المشاكل ، ومحصلة هذه الاسس هو تهيئة بيئة صحية لازمة لإشباع احتياجات افراد الاسرة في مراحل

النمو المختلفة ، واحساس الفرد داخل الاسرة بالسعادة والتواصل الاجتماعي ، و التماسك و التكامل ، ما ينعكس على حياته بالصحة و العافية (البدنية ، النفسية ، العقلية و الاجتماعية).

3- الصحة :

تعريف لغوي : جاء في معجم متن اللغة ان الصِّحَّةُ هي ضد السّقَمْ ، و هي البراءة من العلل و العيوب ، و تقول العرب أَصَحَّ الرجل اي صَحَّ اهله وماشيته بعد عاهة اصابتهم ، و مُصِحٌّ ضده مُمْرِضٌ ، و أصحَ الله فلانا اي ازال عنه المرض7 ، و بالتالي الصِّحَّةُ في اللغة العربية هي الخلو من المرض و السقم و البراءة من العلل .

التعريف الاصطلاحي:

عرفت منظمة الصحة العالمية (W.H.O) الصحة بانها: "حالة من اكتمال لياقة الشخص بدنيا و عقليا و نفسيا و اجتماعيا و لا تقتصر على مجرد انعدام المرض او الداء8.

و تعرف الصحة في الجنس البشري بمدى التواصل الفيزيقي و الوجداني و العقلي للشخص و قدرته الاجتماعية على مواجهة بيئته ،كما تعرف الصحة بالمرض ، فيمكن ان تعرف بغيابه ، و قد جاء في تعريف "بركتزPerktins " للصحة على انها "حالة من التوازن النسبي لوظائف الجسم و التي تنتج من تكيف الجسم مع العوامل الضارة التي يتعرض لها للمحافظة على توازنه "[9].

ويعرفها الباحث بانها: خلو الجسم من المرض بحيث يصبح الفرد يتمتع بلياقة بدنية و عقلية و نفسية تؤهله و تمكنه اجتماعيا من التعايش مع بيئته و العيش في وفاق معها بحيث يتمكن من التكيف مع عدم الاستقرار و الاضطرابات التي يتعرض لها .

4- مفهوم الطفل :

التعريف اللغوي:

جاء في قاموس الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ان طفل او الطِّفْل ، و يعني المولود ، وولد كل وحشيّةٍ ،و الطُّفَيْلُ هو الذي يعتمد على الآخرين لذلك سمي الطفل طفلا ، طِفْلٌ و الجمع أطْفَالٌ ، وقد يكون الطفل واحدا وقد يكون جمعا ، مثل الجنب قال تعالى : "أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ" (النور : 31) و يقال أَطْفَلَتِ المرأة، و المِطْفِلُ الظبية معها طفلها وهي قريبة عهد النتاج10.

اما في قاموس الشامل لمصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي – عربي ، ان الطفل بالإنجليزية Child وهو الولد حتى سن البلوغ و في علم النفس يطلق على الافراد من سن الولادة حتى النضج الجنسي[11].

التعريف الاصطلاحي :

الطفل :يعني المولود و الولد حتى سن البلوغ فهو الفرد من سن الولادة الى سن النضج الجنسي أو ما يسمى بالرشد الذي قدره العلماء بسن الثامن عشر قد يزيد قليلا او ينقص حسب الجنس و البيئة التي ينشا فيها الطفل ، وتعتبر الطفولة من اهم المراحل التي يمر بها الانسان ففيها تتشكل معالم شخصيته ، و تنعكس على تصرفاته و سلوكه في حياته المستقبلية 12، و قسمها معظم علماء النفس و الاجتماع الى ثلاثة مراحل رئيسية هي مرحلة الطفولة المبكرة ، التي يقضي فيها الطفل معظم وقته في البيئة الاسرية و بالتالي يتلقى التنشئة الاجتماعية في الاسرة ويتأثر بالبيئة الاسرية ،التي تنعكس سلبا او ايجابا على نموه النفسي والعقلي و الاجتماعي والبدني ، ثم تليها الطفولة الوسطى ، ثم الطفولة المتأخرة.

و يعرفها الباحث اجرائيا على انه المولود منذ الولادة حتى سن البلوغ مرورا بمختلف مراحلها .

ثانيا : ماهية الاسرة

1- وظائف الأسرة :

يشير ويليام أجبرون (W.agbrun) الى ان وظائف الاسرة تتمثل في :

- الوظيفة الاقتصادية : ، مهمة الاسرة تقديم الدعم المادي بما يضمن تحقيق احتياجات الاسرة للحياة الكريمة .
- الوظيفة الاجتماعية : يستمد الافراد مكانتهم الاجتماعية تبعا لمكانة اسرهم في المجتمع ، فالاسرة مسؤولة عن نقل ثقافتها الموروثة عبر الاجيال الى ابنائها من عادات و تقاليد و قيم و معايير واعراف سائدة في المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية .
- الوظيفة التعليمية : كانت ولازالت تضطلع بهذه الوظيفة الا انها تقلصت الى حد كبير ، نتيجة للتغير الاجتماعي الحاصل في الاسرة و الذي اثر على العديد من الادوار كدور التعليم الذي اوكل في كثير من الاحيان الى الاجداد ، او الى الحاضنة ، او الى الروضة .
- الوظيفة الوقائية : تلعب الاسرة دورا في الحماية الجسدية ، من خلال تعليم الطفل النظافة ، و توفير الغذاء الصحي و المنزل الدافئ و الامن، و الاقتصادية من خلال تامين الجانب المادي الذي يحفظ للطفل الحياة الكريمة و، النفسية من خلال السهر على حمايته من الاضطرابات النفسية التي تنشا من الجو الاسري الغير المستقر .
- الوظيفة الدينية : كتعليم الافراد تعاليم الدين الاسلامي و الالتزام بأوامره و الابتعاد عن نواهيه ، و وغرس قيم الاسلامية ،التي تحث على مكارم الاخلاق ،كالصدق و الامانة و النزاهة و اتقان العمل و الحلم و السماحة و التعاون و غيرها من الفضائل .
- وظيفة التسلية : تلعب الاسرة دورا ترفيهيا كبيرا من خلال تخصيص اوقات للراحة و الاستجمام ، ولقد اخطر "وليام اجبرون "ان فقدان الاسرة لهذه الوظائف هو الذي فككها و حللها وقوض استقرارها13.
- و يضيف الدكتور (ايمن سليمان مزاهرة) وظيفة التربية الجسمية عبر كل مراحل الطفل العمرية بل و حتى قبل الولادة من خلال الاهتمام بصحة الام و حملها و تغذيتها السليمة و المراجعة الدورية للطبيب ، اما بعد الولادة بالرضاعة و الرعاية ، و توفير البيئة الملائمة لنموه الطبيعي14.
- و تضيف الدكتورة سناء الخولي وظيفة اخرى و هي الوظيفة البيولوجية للأسرة و تعتبرها من الاحداث الهامة التي تحدث في الاسرة مثل الاشباع الجنسي و التغذية و الرعاية الصحية للصغار و الانجاب15.
- اما (سلوى عثمان الصديقي) اضافت وظيفة هي الوظيفة العاطفية وفسرتها على انها التفاعل العميق بين الزوجين و بين الاباء و الابناء في منزل مستقل مما يخلق و حدة اولية صغيرة تكون المصدر الرئيس للإشباع العاطفي لجميع اعضاء الاسرة16، والشكل الموالي يلخص اهم وظائف الاسرة.

الشكل (1): وظائف الاسرة

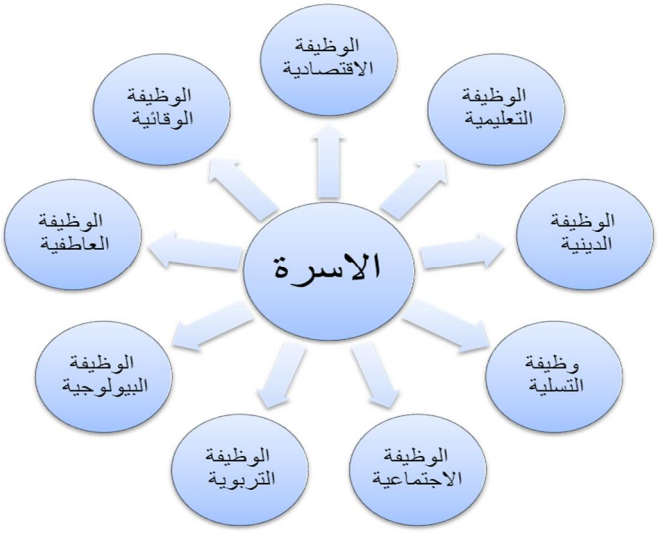

المصدر: من اعداد الباحث .

3- انماط الاسرة ومكوناتها: تختلف أنماط الأسرة باختلاف المجتمعات الإنسانية وسوف نبين أشكالها حسب التقسيم الذي حدده الدكتور حسين عبد الحميد احمد رشوان الذي لمسنا فيه الدقة وجمعه مختلف انماط الاسرة التي تكلم عنها العلماء وهو:

أ- الاسرة النووية : تعتبر الشكل الاساسي والمنتشر في معظم المجتمعات و هي الاسرة الزواجية التي تتكون من الزوج و زوجة واحدة والابناء غير المتزوجين ،او طفل واحد على الاقل ،ويمكن الزواج مرة اخرى في حالة وفاة الزوج او الزوجة او الطلاق 17،وينتمي الفرد عادة في ضل هذا النظام الى اسرتين نوويتين ، الاسرة النووية التي تربي فيها ،و تعرف باسم اسرة التوجيه ، و الثانية التي يقوم فيها بدور الاب ،وهي اسرة التكاثر .

و تتغير الاسرة النواة عندما يكبر الاشخاص الذين يشغلون اوضاع الاب و الابناء ، وعندما يبدا الابناء في ملأ اوضاع الاب و الام في اسرة جديدة يكونونها بأنفسهم ، و بالتالي يكون هناك دورات حياة للأسرة .

ب- الاسرة الممتدة : هي اسرة يرتبط الافراد بعضهم ببعض من خلال اصل قرابي واحد و تحتوي على نماذج من الاسرة النواة ، و قد عرفها روسر (Rosser) و هاريس (Harris)، بانها علاقة معينة بين مجموعة من الافراد تربطهم المودة والتراحم من خلال الزواج و الانجاب ، و هي اوسع من الاسرة النواة بحيث تمتد لثلاثة اجيال بدءا من الاجداد و حتى الاحفاد ، وكأعضاء تلك المجموعة ليسوا محتاجين للإقامة بمكان واحد ، لكي يكونوا اسرة ممتدة و تشكل الاسرة نمطا شائعا في المجتمعات البدائية و في المجتمعات الريفية و غير الصناعية ، وبين الطبقات الدنيا في التجمعات الحضرية و ذلك لان افراد العائلة غالبا ما يتكافلون اقتصاديا لما يعانون من ندرة و فاقة في الموارد المتاحة و هذه الاسر هي جماعات متضامنة ، الملكية فيها عامة و السلطة فيها لرئيس الاسرة او الجد الاكبر18.

وقد تطرق العلماء الى انماط اخرى من الاسر كالتي تطرق لها الدكتور (محمد الجوهري) الا انها في الغالب تندرج ضمن النمطين الرئيسيين و هما الاسرة النووية و الاسرة الممتدة فقد تطرق الى الاسرة الزواجية او اسرة الزواج الواحدي و التي تتكون من الزوج و زوجته الوحيدة و اولادها المباشرين و التي وصفها بانها اشهر انواع التنظيم الاسري شيوعا على اعتبار ان رابطة الزواج ذات اهمية اساسية بالنسبة لهم ، و لو دققنا النظر في تعريفه لهذا النمط من الاسرة لاتفقنا على ادراجها ضمن نمط الاسرة النووية ،و اشار ايضا على انه في بعض الاحيان ترتبط عدة اسر زواجية فيما بينها او تمتد مكونة ما يسمى وحدة

عائلية اكبر وهذا ما يتلاءم مع نمط الاسرة الممتدة ، وتكلم ايضا على اسرة التوجيه او التنشئة التي يولد فيها الشخص و يحصل على التنشئة الاجتماعية الاولى ، و اسرة التناسل و هي التي تتكون بعد الزواج و التناسل ، ايضا الاسرة الابوية و هي التي يسيطر فيها الاب ، و الاسرة الاموية و هي التي تسيطر عليها الام ، و الاسرة التي يسيطر فيها الابن باسم الأسرة الابوية في حين هناك الأسرة التي تقوم فيها العلاقات على اساس ديمقراطي وتعرف باسم اسرة المساواة19، و بالتالي هناك الكثير من التصنيفات التي تكاد تكون غير محدودة و تخضع عادة لوجهة نظر الباحث ، اما لو اردنا التصنيف الجامع لكل هذه الانماط فمن الاحسن اتباع التقسيم الابسط في شكله و الجامع لكل انماط الاسرة و الذي اعتمد على نمطين هما الاسرة الممتدة و الاسرة النووية ، والذي نستطيع ان نجعله معيارا جامعا لتصنيف الاسر البشرية في العالم وفقا لخصوصيات كل بلد ، فالجزائر مثلا ، اخذ شكل الاسرة منذ القدم ما يعرف بالعشيرة التي تتكون من عدة خلايا اسرية تربطهم علاقة النسب و المصاهرة و الجوار ، و العشيرة مكونة من عدة اسر متلاحمة عادة ما تعيش في بيت كبير (الدار لكبيرة) وهاذا ما يعرف بالأسرة الممتدة ، ثم اخذ نطاق الاسرة يضيق شيئا فشيئا نتيجة لجملة من الظروف سياسية و اجتماعية واقتصادية و ثقافية ، حتى ما وصل الى الحد الذي استقر في اغلب بلدان العالم حديثا ، و هو الاسرة النووية التي تتكون من الزوج و الزوجة و اطفالهما .

4- مشكلات الاسرة : تم تصنيف المشاكل الاسرية من طرف علماء الاجتماع عدة تصنيفات كل وفقا لمعايير معينة ، فمنها من صنفها وفقا للعوامل الغالبة عليها و منهم من صنفها و فقا لعجز الاسرة عن القيام ببعض وظائفها ، و غيرها من التصنيفات ، و اخترنا منها المشكلات التي تهدد استقرار الاسرة ، حيث حدد الاستاذ الدكتور محمد عبد الفتاح محمد تصنيفا للمشاكل الاسرية وفقا للبناء المتغير للأسرة كما يلي :

- التنقل الاجتماعي سعيا وراء العمل و الارتقاء بالمستوى الاجتماعي ،مما تسبب في اضعاف الروابط الاسرية و القرابية وبالتالي التأثير على استقرار الاسرة ، و قد شجع على تعدد الزوجات ،وهذا في حد ذاته يمثل عقبة امام استقرار الاسرة.

- المشكلات العقلية والنفسية :كالاضطرابات والأمراض النفسية و العقلية لشخص او بعض الاشخاص في الاسرة مما يؤثر على باقي افراد الاسرة خاصة الاطفال الذين يعانون من الاهمال و قلة الاهتمام ما ينعكس سلبا على صحتهم .

- المشكلات الاقتصادية : و هي المشكلات التي ترتبط بالفقر و البطالة و قصور الموارد و الامكانيات و التي عادة ما تكون مدخلا من مداخل الخلافات الزوجية نتيجة شح مصادر التمويل مما يزيد من حدة احتياجات الاسرة .

- المشكلات الصحية : كإصابة احد افراد الاسرة بمرض او عاهة و الذي ينعكس سلبا على حياة الاسرة .

- المشكلات الاخلاقية : مثل انحراف أحد أو أكثر من أفرادها ،كالانحرافات السلوكية و الاخلاقية و المقامرة و ادمان المسكرات و المخدرات و التحرشات الجنسية و غيرها 20، وتعتبر هذه المشكلة من اكبر المشكلات التي تواجه الاسرة ، لا نها تعيق الاسرة على تأدية وظيفتها الاساسية و هي التنشئة الاجتماعية ،نظرا لغياب القدوة المتزنة ، وخطر تقليد الاطفال للكبار ، فيقعون في خطر التدخين و الادمان و غيرها من الآفات الاجتماعية.

لقد اشار هذا التقسيم للعديد من المشاكل الاسرية و قد ركز على المشاكل التي تقوض استقرار الاسرة بصفة عامة و لم يتكلم على مشاكل الفرد داخل الاسرة على سبيل المثال ضعف المستوى التعليمي للوالدين و جهلهم بأساليب تربية الاطفال و التنشئة الاجتماعية، و عدم وعيهم بتأثير المشاكل الاسرية على صحة الطفل.

و بالإضافة الى هذه المشكلات ذكر الدكتور(محمود غرايبية) مشاكل اخرى من زاوية الادوار و الوظائف الاجتماعية للأسرة نذكر منها :

- الصراع بين الادوار و الدور المتوقع في الحياة الاسرية : يعتبر الشعور بالإحباط و الصراع الذي يدور حول القيام بالأدوار المختلفة في حياة الاسرة من العوامل الاساسية التي تصدع بنيان الاسرة ، و قد يخلق صراع حول الحقوق و الواجبات التي تنشا بين الزوجين في تربية الاطفال و كذلك الصراع في الادوار الزوجية و ادوار الاقارب و غيرها .

- الصراع بين الادوار الاسرية و الادوار الخارجية : قد ينشا نوع من التنافر بين دور الشخص كزوج و كأب و دوره كموظف او كعامل ، او بين الزوجة كأم و بين الادوار التي تفرضها الاتجاهات نحو العمل او نحو النشاط الاجتماعي ،و هنا تتدخل مهارة الفرد و قدرته على اداء الادوار متعددة و مختلفة خلال حياته اليومية و هي من العمليات التي تواجهها صعوبات كثيرة قد تعوق الفرد عن القيام بالادوار المنوطة به .

- مشكلات تقلص وظائف الاسرة : مع مرور الزمن بدأت الاسر تتخلى عن بعض وظائفها و اصبح هناك اطراف اخرى تتدخل لتمارس هذه الوظائف بدلا من الاسرة او بالتعاون معها و بالتالي بدأت تتقلص الى ان بقيت و وظيفة تحتكرها الاسرة دون غيرها و هي وظيفة الانجاب ، و اذا جاز القول فان تقلص وظائف الاسرة يمكن ان يفككها ويقوض استقرارها ، خاصة الاسر التي تستأجر خادمات اجنبيات لتربية الاولاد و رعايتهم ، فيحصل نقل لعادات و تقاليد و افكار للأطفال قد تتعارض مع قيم مجتمعهم، مما يحدث شرخا على مستوى علاقة الطفل بمحيطه الاجتماعي .

و ذكر الدكتور الغرايبية مشكل الطلاق و اعتبره مؤشرا واضحا لفشل نسق الاسرة ، حيث يؤدي الى نشوب صراع هامشي بين اسرتي الزوج و الزوجة ، و المتضرر الاكبر هم الاولاد الا انهم يعيشون مع الاب او الام افضل من العيش في الصراعات الزوجية ، و يعتبر الطلاق نهاية مؤلمة للغاية الا انه في الحقيقة افضل من الحياة المتعبة غير الموفقة 21.

بالاضافة ان الاسرة في عصرنا الحديث تتعرض لعدد من المشاكل نتيجة للتغيرات الاجتماعية و الثقافية و التي هي شديدة الوطأة على نظام الاسرة الحديثة ومن اهمها :

الطلاق :والذي مرجعه عدة اسباب اهمها عدم الاستقرار الجنسي بين الزوجين ، اضافة لاختلاف المستوى الثقافي مما يؤدي الى عدم تقدير و احترام مشاعر الطرف الاخر،و عدم توافق المستوى الاجتماعي يؤدي الى عدم التكيف الاسري ، و اختلاف المستوى الاقتصادي بين الزوجين فقد يدخلان في صراع نفسي وربما الى الجنون او الانحراف خاصة من طرف الزوج ، والاخطر هو انتقال الاضطرابات النفسية التي تسود الاسرة الى الطفل .

و يضيف الدكتور سعيد حسني العزة ، مشكلتين لهما الاثر البالغ على استقرار الاسرة ولم يتطرق لها الباحثون الذين سبق ذكرهم و هما :

أ-المشكلات التربوية : و نذكر منها

- الحماية الزائدة (الدلال)و هو اسلوب يمارسه الوالدان خوفا على اولادهم للتعرض للأذى و التي تخلق منه طفلا اعتماديا لا يستطيع القيام بالمهام المطلوبة منه و يصبح انسانا عاطلا ، خاملا غير مبادر ،كسول ....

- حرمان الطفل من العطف و الحنان الذي يخلق منه انسانا قاسيا لا يحب احدا او لا يعطف على احد .

- التمييز بين الاخوة الذي يخلق الصراع و التوتر بين افراد الاسرة .

- العقاب البدني و اللفظي الذي يدمر تقدير الطفل لذاته و عدم الثقة بنفسه و يشعر بقلة قيمته و بالكراهية لغيره .

- التوقعات المثالية او الزائدة الامر الذي يسيء للطفل ، و يجعله يحس بالنقص و الفشل و من المعروف ان الفشل يقود الى العدوان .

- الوعود العريضة التي تتحول الى ديون ،لا يستطيع الوالدان الوفاء بها الامر الذي يزعزع الثقة بين الطفل ووالديه.

- النماذج الابوية (الاب الخجول و العدواني و الاناني و المكتئب)حيث ان هذه الصفات تنتقل الى الابناء حينما يرون هذه الصفات تمارس من طرف الاباء عن طريق تقليد ذلك النموذج22.

ب- المشكلات الدينية و تشمل عدم ممارسة الفرد للشعائر الدينية من صوم و صلاة و زكاة و حج ، و تشمل ظاهرة تعاطي المخدرات و الحبوب و تناول المسكرات ، و كذلك ظاهرة البغاء و الانتحار و قتل النفس و العقوق و الابتعاد عن القيم الدينية و قضايا الامة و الاهتمام بالماديات و اهمال الروحانيات و الاهتمام بالدنيا و اهمال الاخرة و الربا و الزنا و غيرها كثير23.

و هناك عامل اخر قد يؤجج المشاكل داخل الاسرة و هو عمل المرأة الذي يؤدي الى التفكك اذا لم يحسن الطرفين التعامل معه، خاصة ضل تمسك الطرفين بحقوقهما و التنصل من المسؤولية و عدم الحوار في تنظيم التغير الذي يحدث جراء عمل المرأة ، خصوصا اذا كان هناك اطفال في سن الرعاية و في حاجة الى حنان الام ، و القيام بالتزامات نفسية و طبيعية و اجتماعية خاصة اذا كان عمل الام و الاب في نفس التوقيت ،وبالتالي تبرز مشكلة التوفيق بين العمل و تربية الاطفال و القيام بالواجبات الزوجية ، و مشكل انهيار تقسيم العمل بين الزوج و الزوجة داخل و خارج المنزل .

ومن هنا يتضح ان المشاكل الاسرية لا حصر لها وخاضعة لعدة عوامل و تختلف من اسرة الى اخرى و من مجتمع الى اخر حسب خصوصياته ، وغالبا ما تؤدي المشاكل الاسرية الى الاخلال بالاستقرار الاسري ، وصحة الطفل (الاجتماعية ، النفسية ، العقلية و الجسدية) هي من تكون على المحك .

ثانيا :الطفل

1- مراحل الطفولة و خصائص كل مرحلة:

ان رعاية الطفل و تربيته هو اعداده لمواجهة التحديات الحضارية التي تفرضها حتمية التطور و التغير الاجتماعي و التكيف مع البيئة المتقلبة ، و تعتبر مرحلة الطفولة من اهم المراحل العمرية في حياة الانسان لذلك يجب دراستها دراسة معمقة و الغوص في اغوارها ، من اجل ذلك قام العلماء بتقسيمها الى مراحل عدة مع اعترافهم بان هذه المراحل ليست ثابتة من الناحية العمرية ،وعملية الانتقال من مرحلة لأخرى متغير و يتأثر بعدة عوامل منها ما هو متعلق بالبيئة الاجتماعية والطبيعية كدرجة الحرارة و الموقع الجغرافي و جنس الطفل ، بالإضافة الى العادات و التقاليد و الاعراف و المعتقدات وغيرها ، هذه العوامل و غيرها ادت الى تباين في تقسيم العلماء لمراحل الطفولة .

فقد قسمها البيولوجيون الى خمس مراحل هي :

- الوليد من الميلاد إلى الأسبوع الثاني.
- مرحلة الرضاعة: من الأسبوع الثاني إلى نهاية العام الثاني.
- مرحلة الطفولة الأولى: 2 إلى 6 سنوات = الطفولة المبكرة.
- مرحلة الطفولة الثانية : 6 إلى 9 سنوات = الطفولة الوسطى.
- مرحلة الطفولة الثالثة : 9 إلى 12 سنة = الطفولة المتأخرة .

وقسمها التربويون الى ثلاثة مراحل هي :

- مرحلة الرضاعة : من الميلاد إلى سنتين = الطفولة الأولى.
- مرحلة ما قبل المدرسة : 2 إلى 6 سنوات = الطفولة المبكرة.
- مرحلة المدرسة الابتدائية : 6 إلى 12 سنة = الطفولة الوسطى و الطفولة المتأخرة.

وقد جرت عادة اكثر علماء النفس الي تقسيمها الى اربعة مراحل هي :

- مرحلة ما قبل الولادة : من الحمل الى الولادة و مدتها تسعة اشهر .
- مرحلة الطفولة الاولى : و تبدا من الولادة الى سن السادسة او السابعة .
- مرحلة الطفولة الثانية : من السنة السادسة او السابعة حتى سن 12 سنة .
- مرحلة المراهقة ، من 12 الى 18 سنة او ما قبل ذلك بقليل 24،لأنها غير ثابتة و تخضع لعدة عوامل .

اما التقسيم الذي يتبناه اغلب علماء الاجتماع ،و الذي نتبناه في هذا البحث هو كالتالي:

أ- مرحلة الطفولة المبكرة : وتشمل السنوات الاولى من الولادة الى سن السادسة من سن الطفل25، وتعتبر هذه السنوات هي من أكثر الأوقات حرجاً في نمو الإنسان، وإن استثمارنا فيها يضع الأسس لكل التعلم في المستقبل فهي تدعم النمو الاجتماعي والعاطفي والإدراكي والبدني للطفل26 .

ب- مرحلة الطفولة المتوسطة: وتمتد من السنة السادسة الى اواخر السنة الثانية عشر من عمر الطفل .

جـ - مرحلة الطفولة المتأخرة: وتمتد هذه المرحلة من حوالي السن الثانية عشر حتى حوالي السن الثامن عشر من عمر الطفل .

1- حاجات الطفل : الحاجة هي شعور الفرد بان شيئا ما ينقصه او يلزمه ، فهي حالة من التوتر او عدم الاتزان تتطلب من الفرد القيام بنوع من النشاط لإشباعها27، والحاجة سواء بالنسبة للطفل او البالغ فكلاهما في حاجة الى حاجات ضرورية واخرى كمالية ، لكن كل مرحلة واحتياجاتها الخاصة قد تزيد و تنقص من مرحلة لأخرى ، حتى ان مرحلة الطفولة الحاجات فيها تختلف بين الطفولة المبكرة و المتوسطة و المتأخرة ، و يتفق العلماء ان الطفل الذي يستطيع ان ينجح في تحقيق حاجاته الاساسية العامة و الحاجات الثانوية الضرورية اثناء مراحل نموه فهو طفل يتمتع بالصحة ، تعتبر دراسة (ابراهم ماسلو،Abraham Maslow) للحاجات هي افضل الدراسات التي تناولت حاجات الفرد حيث استطاع ان يفترض أن الحاجات أو الدوافع الإنسانية ككل عند الطفل او البالغ " تنتظم في تدرج أو نظام متصاعد في هرم قاعدته هي الحاجات الفيزيولوجية ،فاذا حققها ينتقل الى الاعلى منها وهي حاجات الامن ثم التي تليها حاجات الحب و الانتماء ،الى اخر الهرم و هي الحاجة الى المعرفة ،ثم تنتهي بحاجة الفرد الى تحقيق الذات ، و استطاع من خلال هذه الدراسة ان يفترض تفسيرا لطبيعة الدوافع أو الحاجات التي تحرك السلوك الإنساني"28.

الشكل (2): سلم ما سلو للحاجات

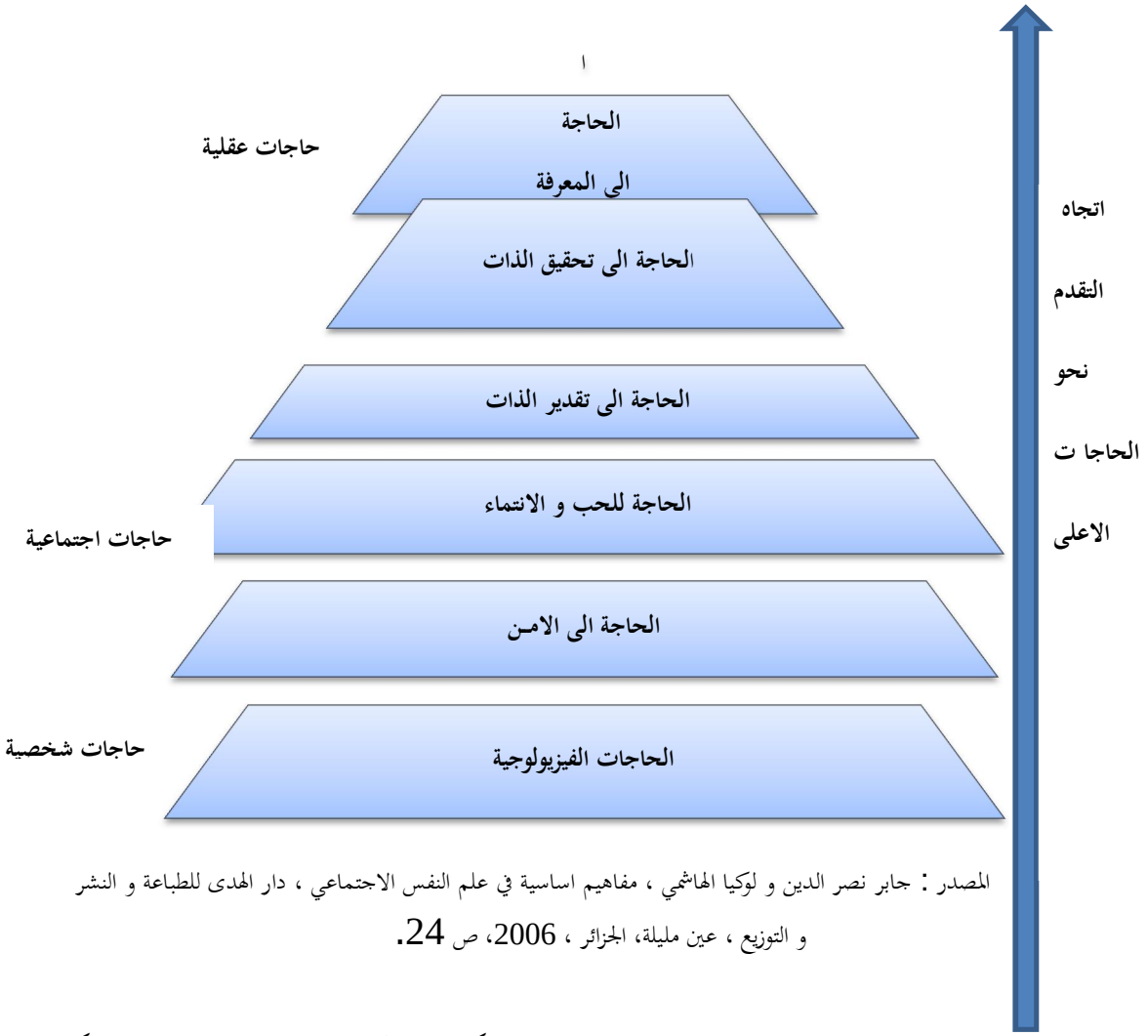

المصدر : جابر نصر الدين و لوكيا الهاشمي ، مفاهيم اساسية في علم النفس الاجتماعي ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة، الجزائر ، 2006، ص 24.

ومنه نستنتج ان حاجات الطفل دائما مرتبطة بالدوافع و بالتالي لابد ان يكون لها اثر على الطفل و بيئته .و الشكل الموالي يوضح الحاجات الشخصية للطفل (الحاجات الفيزيولوجية، الامن و الحب و الانتماء) و الاجتماعية (تقدير الذات و الحاجة الى تحقيق الذات) والعقلية (الحاجة الى المعرفة) ويبين من خلال المؤشر الصاعد للأعلى وهو اتجاه التقدم نحو الحاجات الارقى حسب نمو الطفل و تدرجه في المراحل العمرية.

ثالثا : الاستقرار الاسري و صحة الطفل

1- العلاقة بين الاستقرار الاسري و صحة الطفل :

الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع، والاستقرار الأسري هو الضامن لسعادة الأب والأم والأبناء ، ويعد عاملا مهما في استقرار المجتمع، فالأسرة خاضعة للتفاعل بين أفرادها، فإما أن يكون هذا التفاعل إيجابيا فتتقدم الأسرة وتنتج أبناء صالحين، وإما أن يكون سلبيا فتصبح أسرة مريضة ومهددة بالتشتت ، وتهدد استقرار المجتمع الآمن بإنتاجها.

وان الاطفال هم المتضرر الاكبر من عدم الاستقرار الاسري باعتبارهم الفئة الاكثر احتياجا للاستقرار النفسي و الامن والسكينة والرعاية الصحية، التي تفيدهم في نمو و تكامل كافة جوانبهم العقلية و النفسية و الاجتماعية ، و البدنية ، والعناية بالجانب الصحي في المراحل الاولى لحياة الطفل من ابرز وظائف الاسرة السوية التي تحرص على رعاية اطفالها الرعاية المتكاملة

،وفيما يلي نحاول تسليط الضوء على تأثير الاستقرار الاسري على صحة الطفل من خلال ابراز الخلل الذي يسببه غيابه على صحتة بمختلف ابعادها (النفسية ، الاجتماعية ، الجسمية و العقلية).

2- اثرغياب الاستقرار الاسري على صحة الطفل:

أ- النفسية :الصحة النفسية هي التوافق التام او التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة ، مع القدرة على مواجهة الازمات النفسية العادية التي تطرا على الحياة الفرد مع الاحساس الايجابي بالسعادة و الكفاية 29، ويعد الاستقرار الاسري في حياة الطفل شرط اساسي من شروط صحته النفسية الحقيقة، و غيابه يتسبب في آثارا سلبية وخيمة وعميقة في نفسية الطفل وشخصيته كالقلق ،الغضب، العدائية، الاكتئاب ، الانطواء والخجل ،تدني مستوى تقدير الذات، فقدان الثقة بالآخرين، التسرب المدرسي، اضطرابات مفزعة أثناء النوم، الدخول في عالم الانحراف والجريمة، الانتحار كنتيجة للاكتئاب الحاد ،وغيرها من الصراعات والازمات النفسية ، وهذا ما اثبته علماء النفس ، ففي تجربة قام بها العالم النفسي (سكوت)على 1550 طفل ، من قرى و مدن مختلفة ، وتبين ان الطفل الذي اتى من بيت يفتقر الى الاستقرار و الهدوء يكون اكثر تعرضا للازمات و الصراعات النفسية ، بينما الطفل الذي يعيش في بيت هادئ يكون اكثر اتزانا و استقرارا و تماسكا في شخصيته ، واستنتج ان المنزل الصالح هو الذي يدرك حاجة الطفل الى الاستقرار و الحرية و يساعده على بلوغ غايته 30، وفي هذا الصدد اكد الدكتور (محمد وحمد بيومي خليل)استاذ الصحة النفسية بجامعة الزقازيق من خلال عرضه لمجموعة من الدراسات التي ناقشت موضوع الاستقرار الاسري و تأثيره على صحة الطفل النفسية من بينها دراسة اجراها (محمود عبد القادر1966) حول اثر الدفء العاطفي و الانسجام الاسري على شخصية الطفل ،اكد فيها ان الابناء الذين يعيشون في اسر يسودها الدفء العاطفي و الاستقرار الاسري ، اكثر تقبلا لذواتهم ، و اكثر تحررا من عوائق القلق ، كما انهم اكثر شعورا بالرضا ،و ذكر ان السبب الرئيسي لجنوح الاحداث ، و ميلهم الى الاجرام و تعاطي المخدرات مرده الى المناخ الاسري المضطرب ،وذكر دراسة اخرى اجراها (محمد على محسن 1970) حول اثر المناخ الاسري المتمثل في علاقة الوالدين بالأبناء ،اوضح فيها وجود فروق ذات دلالة احصائية بين الابناء الجانحين و غير الجانحين فيما يتعلق بمشاعرهم اتجاه علاقاتهم الوالدية و خبرات الطفولة و اساليب المعاملة الوالدية ، حيث تعرض الجانحون في الطفولة لظروف اسرية يسودها الاحباط و الحرمان و الاهمال ، كما تعرضوا لأساليب معاملة والدية خاطئة اساسها النبذ و الاهمال و العقاب الشديد وعدم الحب ، كما اتسمت ظروفهم العائلية بالاضطراب و عدم الاستقرار ، و كثرة الانفعالات و الخلافات الوالدية ، و سوء التكيف العائلي31،فالحرمان من الرعاية الوالدية، نتيجة عدم استقرار الاسرة جراء انفصال الزوجين ،هو أول الأسباب المؤدية إلي الاضطراب الصحة النفسية للأبناء ،وتتحدد درجة الضرر من الحرمان بمدي العلاقة بين الطفل ووالديه قبل الحرمان، وبالسن التي يتم عندها الحرمان، وتختلف باختلاف نوع الرعاية البديلة وحالة الطفل الصحية، والظروف والملابسات المحيطة وقت الحرمان، و في هذا الخصوص اثبت جملة من الباحثين في علم النفس بداية من (فرويد) ،ثم (سبيتز1945) و (بولبي 1970) "ان الانسان ينموا نموا جسديا و نفسيا بشكل افضل حين تتم رعايته بواسطة شخص يمنحه الحب و الامان و لا يتم اشباع هذه الحاجات الا في وسط اسري مستقر"32.

ومما سبق يتضح ان من شروط الصحة النفسية للطفل هو الاستقرار الاسري الذي يمده بالدفء ، و العطف و الحنان و الامن و الطمأنينة و السكينة ، و الرعاية ،ومشاعر الحب و الاحترام و الصداقة ، الذي يهيئه الوالدين له ، وتعتبر البيئة الاسرية المستقرة صمام أمان للطفل من الاضطرابات النفسية ،و الملائمة لنمو الشخصية القوية المتوافقة مع البيئة الداخلية و

الخارجية للأسرة، القادرة على الابداع و التطوير و الرقي بالمجتمع ، و الوصول الى اعلى مستويات من الصحة والتوافق النفسي.

ب- اثر غياب الاستقرار الاسري على صحة الطفل الجسدية (الجسمية ، البدنية، العضوية):

الصحة الجسمية هي التوافق بين الوظائف الجسمية المختلفة مع القدرة على مواجهة الصعوبات العادية المحيطة بالفرد ، و مع الاحساس الايجابي بالنشاط و القوة 33،وقياسا على هذا فصحة الطفل تستدعي قدرة اعضائه على القيام بمختلف النشاطات المعتادة دون مشاكل ، وخلوها من اي عارض او مرض يعيقها على اداء وظائفها المنوطة بها ، وتتعدى ذلك الى احساس الطفل بالقوة و النشاط من خلال حيويته الدائمة ، و قدرته على مقاومة التغيرات التي تواجهه كتغير درجة الحرارة و الرطوبة ، ونوعية الغذاء ومواعيده ،وان تقوم عضويته بأداء وظائفها المناعية جراء هذه التغيرات من خلال جهازها المناعي ، من كرات دم بيضاء و صفائح دموية ، واجسام مضادة و غيرها ، التي اذا غابت ستؤدي حتما الى اعتلال صحته وقد اثبتت الدراسات ان عمل الجهاز المناعي للإنسان له ارتباط و ثيق بالجهاز النفسي ، فالطب الحديث اثبت ان 80% من الامراض العضوية ، مردها الى اضطرابات نفسية ، و من هنا نستنتج ان الاستقرار الاسري ، يؤدي الى استقرار الصحة النفسية للطفل ، وهذه الاخيرة تساهم في استقرار صحته الجسمية ،وقد اكدت دراسة للدكتورة(حكيمة ايت حمودة)ان عدم الاستقرار الاسري كاستمرار الزواج الفاشل او المشاحنات الزوجية ، يؤدي الى امراض جسدية كثيرة للطفل تتسلل تدريجيا وتزداد لتؤدي الى هلالك مبكر ، و اضافت ان عملية تراكم للضغط النفسي على الطفل مع مرور الزمن تولد حساسية ، فتجعله عرضة للإصابة بالأمراض الجسدية و النفسية 34، وتضيف (ايت حمودة) ان المظاهر الجسدية جراء الضغط النفسي الذي يتعرض له الطفل متعددة ، فعلى مستوى الراس و العنق تظهر اعراض على شكل جفاف الحنجرة و الفم ، و صداع ، و احتكاك الاسنان عند التعرض للضغط ، و آلام جبهية، وألام في الفك و العنق ، و توتر العضلات في الرقبة و الظهر و الاحساس باهتزازات بالأذن ، اما على مستوى التنفس، فقد تنتاب الطفل آلام صدرية ، وعسر في التنفس ، وفقدان الشهية مما يؤثر على نموه الجسمي ، و حموضة في المعدة ، و الغثيان والغازات ، و الم بطني تشنجي ، و البراز المتكرر ، و المعص و التشنج و الامساك و الاسهال و عسر الهضم و انتفاخ البطن ، وتظهر اعراض على شكل تسرُّع في القلب ، و ضربات غير منتظمة واضطرابات قلبية دورانية ، كما يعاني الطفل من آلآم اثناء التبول ، و البول المتكرر ، و البول اللاإرادي الذي يمكن ان يحدث بعد ان يكون الطفل قد توقف تماما عن التبول ليلا ، و آلآم في الحوض ، و قد تظهر اعراض عصبية كالعرق الزائد و الاحساس بالبرودة و الحرارة ، و اعراض جلدية على شكل طفح جلدي وقد تمس ايضا عادة النوم ، و الارق ، و كوابيس و احلام مزعجة 35، وما يزيد من تفاقم هذه الامراض وتطورها هو الاهمال الذي يتعرض له الطفل جراء اشتغال الوالدين بمشاكلهم ، و عدم التعاون مما ينجر عنه اهمال الرعاية الصحية كالتطعيم و العلاج الفوري للأمراض، وقد يترك الطفل عرضة لاحتمال الاعاقة البدنية ، و عدم الاهتمام بتوفير الغذاء الصحي وفي الوقت المناسب والنظافة المثلى، وغياب التوعية و الرقابة من الاخطار المحدقة به ،وفي دراسة اخرى اجريت في جامعة لندن ، على اطفال من بيئات تعرضوا فيها للعنف ، قام باحثون بعمل مسح دماغي على الاطفال اثناء مشاهدتهم لاشخاص غاضبين ، لاحظ الباحثون نشاطا في القشرة الامامية و اللوزة الدماغية لدى الاطفال ، و هي المناطق المسؤولة عن مواجهة التهديدات ، و اعداد الجسم لرد الفعل ازاءها بالتصدي او الفرار ، و علق الباحثون في ذلك بان الدماغ في هذه الحالات تعلّم كيف يحمي نفسه ، و اصبح في حالة يقظة شديدة ، و تأهب مستمر لمواجهة مثل هذه الاخطار ، و هذا النشاط المتواصل و الكبير يؤثر على مهارات الطفل المعرفية و العاطفية

بسبب حالة القلق المستمر الذي يسيطر على عقل الطفل ، و حتى يمكن تصور هذه الحالة من التأهب في دماغ الطفل ، قال الباحثون انها حالة تشبه حالة التأهب في ادمغة الجنود الذين تعرضوا لصدمات نفسية جراء الحرب36.

ج- اثر غياب الاستقرار الاسري على صحة الطفل الاجتماعية:

ان عدم قدرة الانسان على الاتصال مع الاخرين يجعله مريضا او قد يصفه الناس بالمريض حتى لو كان لا يشكوا من اي مرض ، وهذا ما يمكن ان يؤكد قول العلامة ابن خلدون على أن الانسان مدني بطبعه اي اجتماعي و لا يمكن ان يعيش بمفرده وبمعزل عن المجتمع، وحتى يحقق الفرد التوافق الاجتماعي لا بد له من تنشئة اجتماعية اسرية سليمة منذ طفولته ، فنمو الطفل اجتماعيا و تمتعه بصحة اجتماعية، يتوقف على كفاءة من يتولى أمره بالرعاية، وبالأخص الوالدان اللذان يعتبران أهم المؤثرات الاجتماعية التي تؤدي دورًا أساسيًا في تربية الطفل وتنشئته وأولها ، ومن شروط التنشئة الاجتماعية المؤدية الى التوافق الاجتماعي ،هو استقرار العلاقات الاسرية خاصة الوالدان اللذان يعملان على توفير البيئة الملائمة لنمو الطفل اجتماعيا من خلال اعداده للحياة الاجتماعية الفاعلة ،و تزويده بقيم المجتمع و اتجاهاته ،و معاييره ، فضلا عن المعارف و المهارات اللازمة من اجل استمراره وتوافقه بصورة ايجابية في الحياة الاجتماعية ، والاسرة المستقرة هي وحدها من تؤهل الطفل في طفولته المبكرة اجتماعيا وتمنحه الثقة، و القوة و الرزانة ، و معايير الخلق و الادب و السلوك التي تتوافق مع عادات و تقاليد و قيم و اعراف و معتقدات مجتمعه ، حتى لا يشذ عنها ، ليقع ضحية الامراض الاجتماعية : كالانحراف و الاجرام، و الشذوذ عن الآداب العامة،من تناول الممنوعات و التسرب المدرسي والعنف و الزنى و عقوق الوالدين و غيرها ،"فالفرد الذي لا ينعم بالاستقرار الاسري لا يستطيع ان يمارس الاستقرار في علاقاته ،حيث انه لم يتذوق حلاوة الاستقرار، فهو لا يعرف قيمة السلام و خاصة اذا كانت بداخله معركة و قلق و اضطراب ، فالفرد يحمل في داخله صفات البيت الذي نشا فيه"37،وهذا ما اشارت اليه دراسة (حكيمة ايت حمودة) ان الطفل الذي ينشا في بيت غير مستقر يصاب بأمراض اجتماعية اهمها عدم الثقة المفرطة و الغير المبررة في الاخرين ولومهم ،و نسيان المواعيد او الغائها قبل فترة و جيزة ، و التهكم و الصخرية ، و تبني سلوك دفاعي في العلاقات مع الاخرين ، و تجاهل الاخرين و التفاعل معهم بشكل آلي دون مشاعر و احاسيس ويكتنفه البرود 38، مما يخلق صعوبات في الاتصال و بناء علاقات اجتماعية قوية و دائمة في محيطه الاجتماعي (المدرسة ، الحي ، العمل ، الرياضة..)،وقد يتطور ذلك الى عزلة اجتماعية تجعله يتحاشى الاجتماعات و الحفلات و الاعراس و المناسبات ، وهذا ما يسمى في علم النفس بالرهاب الاجتماعي و يعتبر من اخطر الامراض النفسية التي لها اعراض اجتماعية .

د- اثر غياب الاستقرار الاسري على صحة الطفل العقلية :

الصحة العقلية هي قدرة الطفل على استعمال قدراته الذهنية و تفعيلها بشكل ايجابي كالتفكير، و التذكر و التخزين و المقارنة و التحليل و التركيب و غيرها من العمليات التي تجعل الانسان يستطيع التكيف مع بيئته ، وبالتالي فان الصحة العقلية لا تعني فقط خلو الطفل من الامراض العقلية ، و انما هي قدرة الطفل على استعمال قدراته العقلية و توظيفها ، بكفاءة و بشكل ايجابي ، ويعتبر الاستقرار الاسري من بين العوامل الرئيسية لنمو الجانب العقلي للطفل ، فقد اثبتت الدراسات النفسية و الطبية ان غياب الاستقرار الاسري يؤثّر على العقل أو الدماغ ، ويتسبب في اضطراب الصحة العقلية للطفل قد تتطور الى امراض عقلية ، كالتغيرات المزاجية و الاكتئاب و الفصام و القلق و اضطرابات الشخصية ، و هذه الاضطرابات تؤثر على تفكير و شعور و تصرف الطفل ، وقد اثبتت دراسة (حكيمة ايت حمودة)ان تأثير غياب الاستقرار

الاسري يؤثر على العمليات العقلية ويتجلى ذلك في ظهور حالات النسيان الشديد لدى الطفل، و الصعوبة في التركيز و اتخاذ القرارات و الاضطراب في التفكير ، و ضعف الذاكرة ، و الصعوبة في استرجاع الاحداث ، و استحواذ فكرة واحدة على عقل الطفل 39، واشار (عبد المجيد الخليدي و كمال حسن و هبي)في كتابهما الامراض النفسية و العقلية و الاضطرابات السلوكية عند لطفل ، ان المجهودات العقلية و الحيل الدفاعية التي تصدر من قبل الطفل لمواجهة موقف احباطي او صراع نفسي ، قد يكون ناتج عن الصراع في الاسرة ، هي مرض نفسي او تدل على مرض عقلي ، في حالة ما اذا بالغ في اللجوء الى العمليات العقلية و الحيل الدفاعية (اللاشعورية)، و ذلك كون اسلوب المبالغة في استخدام العقل الباطن ، ناتج عن سيطرة المرض لا شعوريا على الطفل من خلال استمراراه في الاستخدام و اللجوء الى عقله الباطن ، بدلا من عقله المدرك المفكر ، ومن امثلة الحيل العقلية الدفاعية التي يستعملها الطفل الذي يعاني من عدم الاستقرار النفسي هي : الكبت ، الانكار ، التوحيد و التطابق ، الاسقاط و غيرها من الحيل العقلية التي يستخدمها الطفل لا شعوريا للسيطرة على قلقه40.

و بالتالي فان غياب الاستقرار الاسري يؤدي الى اختلال الصحة العقلية للطفل وظهور اضطرابات تؤثر على قدرة الطفل على استعمال قدراته الذهنية و تفعيلها بشكل ايجابي كالتفكير، و التذكر و التخزين و المقارنة و التحليل و التركيب ،وظهور حالات النسيان الشديد لدى الطفل، و الصعوبة في التركيز و اتخاذ القرارات و الاضطراب في التفكير ، و ضعف الذاكرة ، و الصعوبة في استرجاع الاحداث ، و استحواذ فكرة واحدة على عقل الطفل ، وغيرها من العمليات العقلية، التي يمتد تأثيرها على السير الطبيعي لحياته وصحته و مستقبله .

الخلاصة :

مما سبق يتضح ان المحافظة على صحة الطفل و تربيته تربية صحية هي غاية كل اسرة ، و حتى يتسنى للاسرة ذلك يجب عليها توفير مناخ ملائم من الاستقرار الاسري ، حتى ينعم الطفل بالحب و الدفء و الطمأنينة و الرعاية الصحية الضرورية لنموه الطبيعي الجسمي و النفسي و العقلي و الاجتماعي ، حيث تبين ان غياب الاستقرار الاسري يخلف اثار سلبية لا حصر لها على صحة الطفل (نفسية ، اجتماعية ، جسمية و عقلية) ، لا يمكن حصرها في هذا البحث فقط ، بل لابد من دراسات مستفيضه تتناول ظاهرة غياب الاستقرار في الاسر وتأثيرها على صحة الطفل، بعمق اكبر ، ومن هنا نحاول طرح بعض الحلول ضمن آليات المحافظة على الاستقرار الأسري وتأثيره الايجابي على صحة الطفل :

- على الباحثين و الاكاديميين ضرورة تسليط الضوء ودراسة ظاهرة غياب الاستقرار الاسري و تأثيره على الابناء .
- مشاركة المراكز الصحية، وكل الفاعلين في مجال الصحة في الكشف عن الامراض التي تصيب الاطفال جراء غياب الاستقرار الاسري في اسرهم ، من اجل ايجاد الحلول ، و التخفيف من حدة الظاهرة على صحة الطفل .
- ضرورة التفكير في ايجاد آليات لتقديم الرعاية الصحية للأطفال الذين هم ضحية غياب الاستقرار الاسري ، و التركيز على مبدا الوقاية خير من العلاج ، من خلال تفعيل دور وسائل الاعلام و جمعيات المجتمع المدني و دور العبادة (المساجد)،في عملية توعية الاسر بخطر المشاكل الاسرية على صحة الابناء .
- ضرورة تفعيل فكرة طبيب العائلة ، الذي له صلاحية متابعة صحة الاسرة (الصحة الانجابية ، صحة الطفل ، الامراض المتوارثة في الاسرة) ،واستحداث سجل يتضمن التاريخ الصحي للأسرة.

- التركيز على توعية الشباب المقبلين على الزواج ،حول ضرورة الاختيار السليم لشريك الحياة . وحول الحياة الزوجية، و تربية الاولاد.

- يجب على الحكومات اتخاذ جميع الاجراءات الضرورية للتأكد من توفر الشروط التشريعية و المالية ، الملائمة لخيارات الرعاية البديلة كأخر حل لتجنيب الطفل الجو الاسري الغير صحي، مع ابقاء الافضلية للحلول المرتكزة على العائلة .

الهوامش و المراجع

[1] - حسين عبد الحميد رشوان :الأسرة والمجتمع ،دراسة في علم الاجتماع الأسرة ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر ، 2003، ص21.

2 - زينب ابراهيم الغربي :برنامج دراسة المجتمع-علم الاجتماع العائلي–المستوى الاول،فصل دراسي اول،جامعة بنها،قسم علم الاجتماع،مصر،ص27، دون سنة نشر .

3- Beitone . A , Sciences sociale , (ed 2),paris ,France , Dallez édition . 2000 , p 173.

4 - جمال الدين اشرف ، عبد العزيز بودن لطرش : دور الاسرة في تنمية الوعي البيئي لدى الطفل ،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم علم الاجتماع ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2011 ، ص 12.

5 - تغريد سيد احمد بركات ، ورشا رشاد محمود منصور ، الضغوط الحياتية لدى ربة الاسرة العاملة و استراتيجيات التعامل معها و علاقتها بالاستقرار الاسري ، مجلة الاسكندرية للتبادل العلمي ، مجلد 37 ، مارس 2016، كلية الزراعة ، جامعة الاسكندرية ، مصر .

6 - ليلى المكاك،ابراهيم الذهبي:عمل المرأة واثره على الاستقرارالاسري،مجلة الدراسات الاجتماعية،العدد11،جامعة الشهيد حمة لخضر،الوادي،الجزائر،ص184، 2015 .

7 - احمد رضا ، معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان، المجلد الثالث ، ص 423، 1959.

8 - احمد محمد بدح ، و اخرون : الثقافة الصحية ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، ط 1 ، عمان ، الاردن ، ص 9 ، 2010.

9 - نجلاء عاطف خليل : في علم الاجتماع الطبي – ثقافة الصحة و المرض ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، ص 7 ، 2006.

10 - ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح – تاج اللغة و صحاح العربية – دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ص 703 ، 2009.

11 - مصلح الصالح : الشامل – قاموس مصطلحات اللغة العربية ، عالم الكتب للطباعة و النشر، و التوزيع ، الرياض ، السعودية ، ص 86 ، 1990 .

12 - حسن ملا عثمان : الطفولة في الاسلام ، مكانتها و اسس تربية الطفل ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ص 7 ، 1982.

13 - مزوز بركو : التنشئة الاجتماعية في الاسرة الجزائرية - الخصائص و السمات - مجلة شبكة العلوم النفسية العربية ، العدد (21، 22) (شتاء و ربيع 2009) ، مؤسسة العلوم النفسية العربية ، تونس،ص،ص (45،46)، http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

14 - ايمن مزاهرة : مرجع سابق ، (ص،ص)(20،21).

15 - سناء الخولي : الاسرة و الحياة العائلية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية مصر ، ص 48، 2008.

16 - سلوى عثمان الصديقي : الاسرة و السكان من منظور اجتماعي و ديني ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، مصر، ص 55 ، 2012.

17 - حسين عبد الحميد احمد رشوان : الاسرة و المجتمع دراسة في علم الاجتماع ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، مصر ، ص 34، 2012.

18 - المرجع نفسه ، ص 35.

19 - محمد الجوهري : مدخل الى علم الاجتماع ،الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، (ص،ص)(217،218)، 2007.

20 - محمد عبد الفتاح محمد:ظواهر ومشكلات الطفولة المعاصرة ، المكتب الجامعي الحديث للطباعة و التجليد ، الاسكندرية ، مصر ، ص 35، 2009.

21 - فيصل محمود الغرايبية : العمل الاجتماعي مع الاسرة و الطفولة ، دار وائل لنشر ، ط1 ، عمان ، الاردن ، (ص-ص)(137-140).

22 - سعيد حسني العزة: الارشاد الاسري نظرياته و اساليبه العلاجية ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ، الاردن ، ط5، (ص-ص)(66-68)،2015.

23 - المرجع نفسه : ص 81.

24 - حسن ملا عثمان : مرجع سابق ، ص 8.

25 - محمد عبد الفتاح ابو جعفر:علم انفس النمو للسنة الثالثة ثانوي مركز المناهج التعليمية و البحوث التربوية ، طرابلس ، ليبيا ، ص 49، 2014.

26 - باربرا دافنا ليميش كولكي: التواصل مع الاطفال ، منظمة الامم المتحدة (UNICEF)، وحدة الاتصالات من اجل التنمية ، شعبة السياسات و الممارسة ، نيويورك ، و م ا ، ص 17 ، 2011.

27 - راشد محمد عودة عبد الجواد ابو سنينة الشنطي : طرق دراسة الطفولة ، الدار الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان ، الاردن ، ص 16 ، 1989.

28 - عبد الرحمان سعد ، فؤاد البهي السيد : علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة ، دار الفكر العربي ، نصر ، مصر ، ص 44 ، 1999.

29 - عبد العزيز القوسي : اسس الصحة النفسية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط4 ، القاهرة ، مصر ، ص6 ، 1952.

30 - بلميهوب كلثوم ، واخرون :اثر اضطراب العلاقة الزوجية على الصحة النفسية للابناء ، مجلة العلوم النفسية العربية ، العدد 21-22 ، شتاء و ربيع 2009، مؤسسة العلوم النفسية العربية ، تونس،ص8 ، http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

31 - محمد محمد بيومي خليل : سيكولوجية العلاقات الاسرية ، دار قباء للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ص 17 ، 2000.

32 - بلميهوب كلثوم و اخرون : مرجع سابق ، ص 15.

33 - عبد العزيز القوسي : مرجع سابق ، ص 5.

34 - حكيمة ايت حمودة : دور سمات الشخصية و استراتيجيات المواجهة في تعديل العلاقة بين الضغوط النفسية و الصحة الجسدية و النفسية ، اطروحة دكتوراه ، اشراف رشيد مسيلي ، قسم علم النفس و علوم التربية و الارطفونيا ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، ص 94، 2006.

35 - المرجع نفسه ، ص 88.

36 - شبكة هافينغتون بوست ،عربي :دراسة نتائج العنف الاسري على دماغ الطفل تشبه تدمير الحروب ، دراسة نشرت 30 نوفمبر 2016، تاريخ الاسترداد 03 جانفي 2017 ،توقيت 17:30 من الموقع www.huffpostarabi 1998 1325_ n_story/2016/ 11/26/com/ .html

37 - يوسف القسطاسي :الاستقرار الاسري في الاسلام – سلامة العلاقة الزوجية ، تاريخ الاسترداد 04 جانفي 2014، نشر :27 سبتمبر 2012، من الموقع www.aljamaa.net/ar/document/58944.html

38 - ايت حمودة حكيمة ، مرجع سابق ، ص 89.

39 - المرجع نفسه ، ص 89.

40 - عبد المجيد الخليدي،كمال حسن وهبي:الامراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية عند الطفل،دارالفكرالعربي،بيروت،لبنان،ص88، 1997.